دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

التفاعل الاجتماعي لأطباء مدينة تلمسان في الحياة الصحية بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني

محمد بومدين
أستاذ التعليم المتوسط – اجتماعيات
باحث دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة أبي بكر بلقايد – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

تُعَدّ الأمراض والأوبئة من العوامل التي تتسبب في تأخر المجتمعات وتضعفها، نظرًا لما تلحقه من أضرار بمختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...، وتراجعً في النمو الديمغرافي...، لذلك خصصت له السلطة الحاكمة بالبلاد الإسلامية عبر العصور اهتمامًا بالغًا في تشييد المستشفيات، وتشجيع الأطباء في أبحاثهم. بيد تغيرت هذه الصورة نوعًا ما في إيالة الجزائر على عهد العثمانيين، حيث عجزت الإدارة العثمانية على ما يبدو في اتخاذ الإجراءات الوقائية الضرورية لكبح الأمراض، ما جعل السكان يتكيفون مع الأوبئة بوسائلهم الخاصة، فضلاً عن اجتهادات العلماء في هذا الميدان الحساس بمؤلفات الطبية في إطار ما عرفته إيالة الجزائر عمومًا ومدينة تلمسان خصوصًا من الحركية العلمية النشطة في مجالات العلوم العقلية، والتي لم تخرج عن التقليد في مواجهة الأوبئة والجوائح، من خلال كتبهم الطبية التي ركزت على الجانب الروحي في التداوي بالأعشاب الطبيعية، والتي برز فيها الكثير من الأطباء التلمسانيين وهم يحاولون طيلة التواجد العثماني بمدينتهم المذكورة مُسايرة الكوارث الصحية التي عصفت بسكان الإيالة وأثرت بشكل لافت للانتباه في مناحي الحياة للمجتمع الجزائري.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٠ يناير ٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر: ١٦ فبراير ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

إيالة الجزائر؛ العلوم العقلية؛ العهد العثماني؛ المؤسسات الصحية؛ علم الحكمة

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2023.325317

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

محمد بومدين. "التفاعل الاجتماعي لأطباء مدينة تلمسان في الحياة الصحية بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد التاسع والخمسون؛ مارس ٢٠٢٣. ص ١٢٥ – ١٣٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: boumedinem999@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

إن المتمعّن في تاريخ مدينة تلمسان عبر مختلف المحطّات التاريخيّة وفي العصور الحديثة على وجه التّحديد، سيجده لا محال يتخبط في دوامة الظروف الطبيعية والمناخية التي كانت تهدد الحياة الاجتماعية لسكانها طيلة التواجد العثماني بها من القرن ١٠هـ/١٦م، حتى القرن ١٣هـ/١٩م.

وتماشيًا مع ما تم ذكره، تُحيلنا القراءة الأولية لموضوع الأوضاع الصحية في إيالة الجَزائر بما فيها مدينة تلمسان إلى ذلك العجز الرهيب في مواجهة الجوائح والأوبئة وغيرها من الأمراض التي كانت تعصف بالسكان بصفة منتظمة عبر ثلاث قرون من الزمن، في خضم تردي الأوضاع المَعيشية للسكان، وتراجع الحركة الاقتصادية في كثير من الأحيان، بسبب موجات الأمراض التي كانت تنتشر داخل الإيالة وخارجها، ما أدى ذلك كله إلى انعكاسات اجتماعية وسياسية خطيرة على العنصر البشري الذي بات يعيش سنين القلق الصحي. وممَّا لا يدع مجالا للشك، فإن عامة الناس من سكان الجَزائر قد جابهوا تلك الظروف الصحبة بطرقهم الخاصة، التي وسمها التقليد في معالجة الأمراض والحد من انتشارها، علاوة على مساهمة العلماء والأطباء في ميدان التطبيب، حيث إن الثابت ممَّا يُمكن استنباطه حول الأحوال الصحية زمن العثمانيين، هو تلك الاجتهادات العلمية الراقية في ميدان الطب من قبل ثلة من العلماء وعلى رأسهم أطباء مدينة تلمسان، بما تميزوا به من حذق علمي، وبصيرة نافذة على مستوى التعامل مع الأوبئة والأمراض. حتى طار لهم صيت في مشارق الأرض ومغاربها.

لكن يبقى التساؤل مطروح فيما يخص مدى قدرة العلاج التقليدي الذي مارسه عامة السكان في إيالة الجزائر وعلمائها على عهد العثمانيين في مجابهة تلك الجوائح والأمراض. حيث على العكس ممَّا ساد في أوربا من طب حديث مؤسس على التجربة والآلات المستحدثة في هذا الشأن، فإن الجزائريين على خلاف ذلك، بقيت اعتقاداتهم النفسية والجسمية حبيسة الرُوحانيات. ونتيجة لذلك لم تشهد الساحة العلمية بالإيالة شيء من التجديد في ميدان الطب، بل اكتفت بالتداوي بالأعشاب وبعض الخرافات التي طغت على عقول الناس.

ولا بد من الإشارة أيضًا، أنه لم يكن للإدارة العثمانية دور ملموس في هذا المجال، ممَّا يُتيح لنا الجزم على سهرهم الدؤوب في تحسين المؤسسات الصحية، إلا مع القلة القليلة من الحكام ووُلاتهم في البايليكات الثلاث ودار السلطان، الذين قاموا ببناء بعض المستشفيات التي لم تكن كافية في ظل الانتشار السريع والمتنامي للأمراض، حتى أن الساسة الحكام أنفسهم كانوا لا يترددون في استقبال الأطباء الأسرى المسيحيين في قصورهم للتداوي، وأن الكثير من الأمراء قد آتاهم الأجل بسبب وباء أو جائحة.

وعليه لا مناص لنا من القول سوى أن ما عاشه سكان الجزائر وقتذاك، من تدهور في شتى مجالات الحياة، يمكن إرجاعه بنسبة كبيرة إلى نقص ما من شأنه الارتقاء بالميدان الصحي من أطباء وهياكل صحية، فضلاً عن افتقاد هؤلاء للتمويل المالي والمادي، ما أدى ذلك كله إلى تدمير القاعدة الصحية في الجزائر تدميرًا مبرمًا.

ولعله من المفيد أن نؤكد على ذلك الدور الريادي الذي خاضه أطباء الإيالة ومدينة تلمسان على مستوى الإنتاج العلمي للمؤلفات الطبية وكل ما له علاقة بالتطبيب من علوم، مثل علم الحكمة الذي كان علمًا ينظر في الأحوال النفسية والجسمية للفرد. ويمارسه جل أطباء تلمسان الذين أظهروا مقدرة فعالة في مواجهة مختلف الأمراض، غير أنهم على ما يظهر قد ارتبطوا بالجانب الديني والروحي في إيجاد الحلول للظواهر الصحية آنذاك، فكثيرة هي المؤلفات التلمسانية التي خاضت في الطب والحكمة على أساس العلم النقلي لا العلم العقلي المجرد ذي الصبغة التجريبية، إلا مع نزر قليل من الأطباء الذين بادروا إلى التجريب، لكنهم وقعوا فيما اعتادوا عليه من ابتذال في النقل عن سابقيهم من العلماء.

وهو الأمر الذي يقضي منا توضيحه طروحات إشكالاته أكثر فيما مر معنا للتو، عبر هذه الورقة العلمية التي تسعى لتفسير مجريات الأوضاع الصحية في الإيالة عمومًا، وتمظهراتها في مدينة تلمسان خصوصًا، ومدى مساهمة علماء هذه المدينة المذكورة وأطبائها في العلوم العقلية بالدرجة الأولى وعلوم الطب التي أضحت تشكل أهمية بالغة في المجتمع في ذلك الوقت.

كما أن مثل هذه المواضيع الجادة، قد فجرت أسئلة مرحلية مقلقة ومحيرة، متعلقة أساسًا بأسباب تراجع العلوم العقلية بشكل عام في الإيالة، والتي بدورها أثرت على علم الطب أو التطبيب إن صح القول. ممَّا يجعلنا نتساءل عن الوضع الصحي العام الذي كانت عَليه الإيالة زمن العثمانيين؟ وماهي السبل العلاجية والطرق الصحية التي اتبعها سكانها في سبيل التقليل من هذه الأوبئة والأمراض؟ وكيف كان موقف العلماء التلمسانيين على وجه التحديد من تلك الجوائح والأوبئة؟ وما مدى قدرتهم العلمية في التقليل من انتشار الأمراض؟ ومن هم أبرز علماء الطب من التلمسانيين الذين خاضوا في ميدان التطبيب؟ وهل حافظت المدرسة التلمسانية على إشعاعها العلمي في ميدان الطب والعلم العقلي بمثل ما كانت عليه زمن الزيانيين؟ أم أنها أصيبت بالشلل التام على عهد العثمانيين على غرار ما أصاب بقية المدن الجزائرية والولايات العثمانية في المشرق والمغرب؟

أولاً: العلوم العقلية والنقلية في إيالة الجزائر (مقاربات بين المفاهيم والأصول والتداخل)

إن العلوم العقليّة هي مجموع المعارف والخبرات والمهارات، التي توصل إليها العقل الإنسانيّ من خلال تفاعله المستمر مع الظواهر الاجتماعيَّة، والسياسية، والاقتصاديَّة، والعمرانيّة، والصحية...، ومن خلاله تعامله مع الطبيعة والعالم حوله، وتنتظم هذه العلوم اليوم هو سائر في فلك العلوم الطبيعيّة من علوم، وطبّ، وصيدلة، وتمريض، وفيزياء، وكيمياء، ورياضيّات، وسواها. وقد سمّيت هذه العلوم، علوماً عقليّة، لكونها علوماً منبثقة عن العقل الإنسانيّ المجرّد دون رجوع مباشر إلى النقل، ولكونها علوماً تعتدّ بالعقل الإنسانيّ، مرجعًا ومستندًا لها، ولا تعتدّ ـ في كثير من الأحيان ـ بما لا يقرّه العقل المجرّد. ويقول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٣م)، في "المقدمة" عن أصل العلوم العقلية، بأنها: "هي طبيعة الإنسان من حيث هو أنه ذو فكر، فهي غير مختصة بملة، بل بوجه النظر فيها إلى أهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها"[١]، وهي موجودة مند أن كان عمران الخليقة، ويسميها ابن خلدون بعلوم الفلسفة والحكمة.

وقد يقول قائل أن العلوم العقلية كانت هي أساس المعرفة لدى علماء المغرب الإسلامي، إلا أن ذلك لم يكن قد نَضُجَت بعدُ معالمه العلمية بمثل ما كانت عليه العلوم النقلية، التي وضح في شأنها أكثر شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت.١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، في "أزهار الرياض"، وقال أن التلمسانيين قد بَرَّزُوا أكثر في العلوم النقلية، وبَيَّنَ حتى البدايات الأولى لانتقال هذه العلوم النظرية ــ حسب تعبيره ــ إلى بلاد عُدوة[٢] المغرب الإسلامي، وهو يُحيلنا إلى كون المغاربة على حد قوله لم يعرفوا هذا الصنف من العلوم إلا زمن "إبني الإمام" بتلمسان الذين نقلوا العلوم النقلية إلى المغرب الأوسط، بقوله: "وأما ملكة العلوم النظرية، فهي قاصرة على البلاد المشرقية، ولا عناية لحذاق القرويين والإفريقيين إلا بتحقيق الفقه فقط، ولم يزل الحال كذلك إلى أن رحل الفقيه ابن زيتون إلى المشرق، فلقي تلاميذ الفخر بن الخطيب، ولازمهم زمانا، حتى تمكن من ملكة التعليم، وقدم إلى تونس، فانتفع به أهلها، وانتهت طريقته النظرية إلى تلميذه ابن عبد السلام المذكور، واستقل تلميذه ابن عرفة بعده بتلك الطريقة، وكذلك أبو عيسى موسى ابن الإمام التلمساني المذكور، ولهذا تجد العلوم النظرية بتلمسان (...)"[٣].

وبفصل من جانبه عالم تلمسان أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم الجازولي التلمساني (كان حيًا سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)، وهو بصدد تعريف العلوم العقلية في مخطوطه "كعبة الطائفين"، فيقول: "إنما خص العقل هنا بالذكر لأنه هو أول درجات الكشف وعليه مبناه، ولم يتبين ما ينكشف بالعقل في درجة العقل(...)"[٤]. ويردف الكلام عنها مُفسرًا العلاقة القائمة منهجيًا ومعرفيًا بين العلوم العقلية والنقلية، فيقول: "فالعلم العقلي نتيجة العلم النقلي لأنه استنباط منه موافق للحق، (...) فأول العلم العقلي الاستنباط، ووسطه الإلهام، وآخره الأخذ عن الله (...)"[٥].

ثانيًا: الإنتاج العلمي لعلماء إيالة الجزائر في العلوم الطبية على عهد العثمانيين

بالقياس إلى إنتاج الجزائر في التصوف، وفي التاريخ، وحتى في الأدب، فإن إنتاجها في العلوم الرياضية والطبية يُعد قليلاً، فلم يكن هناك علماء طبيعيون أو أطباء بارزون كما كان هناك فقهاء ومتصوفة بارزون[٦]. وقد أشار "أبو القاسم سعد الله" على أنه، حقيقة، قد التصقت ببعض الأسماء مهنة الطب، وهناك من ارتبطت بعلم الحساب، والفرائض، والفلك. لكن هؤلاء على حسب رأيه لم يختصوا بالحساب أو الطب كما اختص مثلاً "الونشريسي" في الفقه[٧]، ومع ذلك فإن مدينة تلمسان عرفت علماء رياضيون (متخصصون) في العلوم العقلية أمثال العالم أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن عبد العزيز بن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م).

ثالثًا: أسباب تراجع العلوم العقلية في تلمسان العثمانية

إن ما يمكننا قوله ومن دون الوقوع في مغبة الخطأ، هو أنَّ العناية بالعلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها كاللغة، والنحو، والبيان، وغيرها ...، ظلت الشغل الشاغل للمراكز التعليمية في الجزائر عامة، وتلمسان خاصة، بما فيها المدارس إبان الفترة الحديثة، وأدى التركيز عليها إلى عدم العناية بالعلوم الأخرى، وهذا القصور لا ينطبق على تلمسان وحدها بل هي حالة كل العالم الإسلامي، وهو ما أدى إلى انحطاط وضعية العلوم العقلية به خلال العهد المدروس، وليس أدل على ذلك من قلة المشتغلين بالطب والكيمياء، الفلك، والحساب، والجبر، وغيرها[٨].

وذلك ما لاحظه الرحالة الإنجليزي الدكتور "شو" الّذي زار الجزائر خلال القرن (١٢هـ/١٨م)، وتلمسان، وقال عن وضعية العلوم العقلية فيها بأن أي علم عقلي لم يأخذ بدرجة من الكمال، مؤكدًا على أن هذه الوضعية ليست ناجمة عن قلة الأشخاص الّذين يمارسون الطب، أو أي من المهن التي تتطلب بعض المعرفة بالعلوم الدقيقة، إلا أن كل ما يفعلونه هو من قبيل العادة والتعود، معتمدين في ذلك على ذاكرتهم القوية وذكائهم الفذ، وفيما يخص الطب أكد على تدهور وضعية في إيالة الجزائر[٩]، كما في بقية الولايات العثمانية، مع اعترافه بقدرة بعض الأطباء الجزائريين في المعالجة ببعض الأعشاب فخلص إلى القول إلى أن: "الطب لم يكن يسير وفق قوانين معينة أو مدارس، بل كان يعتمد على ما ألفه العرف"[١٠].

وأشار في هذا الصدد أحد أطباء تلمسان المشهورين إبان القرن (١٢هـ/١٨م)، وهو الشيخ ابن عزوز (ت. بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، في مخطوطته "رسالة الصوفي للصوفي"، ما يؤكد أن علماء إيالة الجزائر قد ارتبطوا بالجانب الروحي في التداوي أكثر من الجانب التطبيقي، على حد قوله: "(...) وفي الالتجاء إلى الله بالدعاء إليه فايدة ليست في التداوي بالعقاقير (...)"[١١]. ولعل رأي السيد "شو" أقرب إلى الصواب على حسب "سعد الله أبو القاسم" عندما لاحظ قبل "فيرو" بفترة طويلة، وهو يتحدث عن حالة العلوم والفنون في إيالة الجزائر في وقته، بأنها ما زالت عند المسلمين: "كما كانت منذ مدة في حالة دنيا (...) فالفلسفة والحساب والطبيعيات والطب التي كانت ملكا لهم خلال عدة قرون قد أصبحت الآن لا تكاد تعرف أو تدرس"[١٢].

وقد أرجع "شو" ذلك إلى عدم الاستقرار لدى العرب، والمظالم التي كان يعانيها الحضر على يد الأتراك العثمانيين، لأن الأمن، والحرية، والهدوء ضرورية للإنتاج الأدبي والفني الراقي[١٣]. وهذا النقص في نظره يعود إلى كون حكام الجزائر آنذاك، لم يكونوا مهتمين إلا بالتجارة والأمور المالية، بالإضافة إلى ميولهم للحرب وعدم الاستقرار السياسي تجعل مساهمتهم في الإنتاج العلمي غير مضمونة[١٤].

وتنحصر وجهة نظر "سعد الله أبو القاسم" إلى أن العثمانيين كانوا يفتقرون إلى أشياء أساسية لكي يشجعوا العلم والأدب على السواء في الجزائر، وأولها اللغة، حيث كانت "لغة الوجق" العامة هي التركية، وهي لغة للكلام أكثر منها للكتابة، ولم تكن هناك أعمال أدبية وعلمية هامة أنتجت بهذه اللغة إلى ذلك الحين. ولا شك أن لغة الحضارة الإسلامية في وقتهم كانت هي اللغة العربية، ولا نعرف أن الحكام العثمانيين كانوا يتقنون العربية العامية، فما بلك بالعربية الأدبية. الأمر الذي جعل المؤرخ المذكور يتساءل. كيف نتوقع منهم في هذه الحالة تشجيع إنتاج بلغة لا يعرفونها ولا يتذوقونها؟[١٥].

هذا، ومن ناحية أخرى، أثبتت المصادر والروايات التاريخية على أن الحكام أنفسهم كانوا في أغلبهم جهلة ومغامرين، بل كان بعضهم مرتدًا عن دينه الأصلي، فكان حتى بعد توليته للحكم يتحدث أحيانًا لغته الأصلية. وحري بنا كذلك تقديم تفسير آخر قريب من التفسيرات السابقة، مفاده أن الحكام العثمانيين كانوا يشعرون بالغربة في الجزائر، وهذا الشعور قد جعلهم مبتعدين عن السكان المحليين، وهذا العامل هو الذي لم يشجع على إيجاد إحساس أدبي أو علمي مشترك، رغم وجود إحسان روحي ديني ومصيري[١٦].

ونتيجة لذلك، فإن تدريس الطب قد أهمل في أقطار عُدوة المغرب الإسلامي، بما فيما المغرب الأوسط، منذ فترة سابقة للعثمانيين[١٧]، وكان من نتائج إهمال تعليم الطب قلة عدد الأطباء في الجزائر، وعليه لا نبالغ إذا قلنا أن دراسة الطب بالطريقة المتطورة التي بلغها في العهد الذهبي للحضارة الإسلامية، كاد أن يختفي بها زمن العثمانيين، ولهذا قال "أبو القاسم سعد الله" في سياق حديثه عن ابن حمادوش بأنه: "جاء بعد ظلام دامس أصاب الحضارة الإسلامية، ولذلك اعتبره بعض الباحثين من أواخر الممثلين للطب العربي"[١٨].

وممَّا تجدر الإشارة إليه، أن بعض العلماء المدرسين حينذاك، قد تطرقوا في مجالسهم لبعض العلوم العقلية، كالحساب، والفرائض، والفلك...، لكن دراستها لم تكن إلا للاستفادة منها في الحياة اليومية البسيطة، فالحساب كان للاعتماد عليه في التجارة، والفرائض، وتقسيم، التركات، وغيرها، وكان الفلك يدرس لمعرفة الزوال، وأوقات الصلاة، وفي هذا الإطار أكد العالم الفيلسوف أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن عبد العزيز ابن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، في مخطوطته "رسالة الصوفي للصوفي" أن العلوم العقلية وخاصة منها علوم أسرار الحروف والأسماء هي علوم كان يهتم بها أكثر نخبة المجتمع من العلماء والموظفون في المؤسسات الدينية وغير الدينية، بقوله: "(...) تتصرف بها في أرباب المراتب العالية والعلماء والقضاة والفقهاء والحكام وأهل العدل وأئمة الهدي وأهل التأويل الرؤيا والفضلاء والزهاد والخلفاء والتجار (...)"[١٩].

إن عدم اهتمام الجزائريين بهذه العلوم هو الذي جعل الكتاب الأوربيين ينتقدون التعليم في الجزائر انتقادًا لاذعًا، وانتقادهم هذا فيه شيئ من الحقيقة[٢٠].

ولقد أشار العديد من علماء تلمسان على وجه التحديد للأهمية المرجوة من العلوم العقلية والتجريبية، حيث أكد في هذا الجانب الشيخ ابن عزوز (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، في مخطوطه "الأمر الوافي والترتيب الكافي للسر الخافي"، أن لهذه العلوم فائدتان، الأولى "دُنيوية" في معرفة كيفية التغلب على ما يحيط بالإنسان من طبيعة وكائناتها، والفائدة الثانية "أخروية" وهي انفتاح البصيرة ومعرفة الله معرفة كاملة، ولأجل هذه الفائدة الثانية كان الطلب بكثرة على هذه العلوم[٢١].

رابعًا: الأحوال الصحية في إيالة الجزائر من خلال النصوص التاريخية

٤/ ١-الأوضاع الصحية في الإيالة وسبل معالجتها

تعرضت إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، كغيرها من الأقطار المغاربية، والمشرقية، والأوربية، مرارًا إلى وباء الطاعون، الذي حصد عدد كبيرًا من الأرواح. حيث يُرجع الباحث "أرزقي شويتايم" تاريخ أول ظهور لوباء الطاعون في الجزائر إلى سنة ٩٤٨هـ/١٥٤١م. ويبدو أن وباء ٩٦٠هـ/١٥٥٢م، انتقل للإيالة عن طريق الأسطول الذي أرسله السلطان العثماني لمؤازرة بايلرباي الجزائر صالح رايس (ت ٩٦٤هـ/١٥٥٦م)[٢٢]، في حروبه ضد الإسبان، وقد كان صالح رايس نفسه من ضحاياه سنة ٩٦٤هـ/١٥٥٦م، ومنذ ذلك العهد أصبحت إيالة الجزائر تتعرض للوباء بصفة متقطعة. وإن كان هذا الوباء ضعيفًا في القرن ١٠هـ/١٦م، فإنه قد عرف في القرنين ١١هـ/١٧م، و١٢هـ/١٨م، انتشارًا واسعًا[٢٣] وهلاك كبير للسكان في الإيالة.

ولعله من الضروري بالأهمية بما كان، أن نؤكد على أن الإدارة العثمانية قد غفلت كثيرًا عن الحياة الصحية للسكان بالإيالة. ذلك أن معظم البايات والباشوات كان لهم أطباء أجانب يختارونهم عادة من الأسرى الأوربيين الذين يقعون في قبضتهم أو يستأجرونهم بالأموال، لذلك اعتمد الناس على وسائلهم الخاصة واستعملوا "الطب التقليدي" في أدويتهم بما في ذلك الأدعية، والأحجمة، وبصاق الأولياء، وتماتم السحرة والمشعوذين[٢٤]. خاصةً

الاضطرابات النفسية التي كان يرجعها في الغالب سكان الإيالة إلى "الجن" فإنهم كانوا يعالجونها بالبخور، والجاوي، وزيارة الأولياء، والذبائح[٢٥]. ومهما قيل عن الطب التقليدي في إيالة الجزائر، فإن الأوربيين كانوا هم أيضًا يستعملون الطرق التقليدية لمعالجة بعض الأمراض[٢٦].

مع العلم أن ما ذكرناه فيما مر معنا، لا يمكن الاعتداد به في أي حال من الأحوال في إطار فك إشكالية مدى ارتباط الولاة العثمانيين بظاهرة التقليد، وعلى أنهم لم يلتفتوا البتة إلى النواحي الصحية، فقد بنى حسن باشا بن خير الدين مستشفى أو اثنين، وقام كل من صالح باي ومحمد الكبير (ت ١٢١٢هـ/١٧٩٧م)، ببناء منشآت من هذا النوع، ولكن الملاحظ على هذه المنشآت أنها كانت قليلة أو نادرة حتى[٢٧].

٤/٢-الوضع الصحي في مدينة تلمسان زمن العثمانيين

تشير العديد من المصادر المحلية والأجنبية عن وقوع الجوائح والأوبئة بكثرة في تلمسان خلال العهد العثماني، والنتائج السيئة التي خلفتها في الأرواح ومجمل مناحي الحياة العلمية، والاقتصادية، والاجتماعية...، وفي هذا الصدد يُشير "ابن مريم" في "البستان" إلى الطاعون الذي حدث سنة ٩٨١هـ/١٥٧٩م، والذي أدى إلى وفاة عدد من العلماء والصلحاء وعامة الناس[٢٨]. وقد صاحبت بعض الفتن في تلمسان خلال القرن ١١هـ/١٧م، كوارث طبيعية متمثلة في الوباء الذي هلك بسببه الكثير من عامة الناس بتلمسان والعلماء على وجه التحديد سنة ١٠٥٨هـ/١٦٥٠م، حيث نلتمس ذلك بشكل جلي في الشهادة التي أدلى بها العالم أبو عبد الله محمد بن سليمان ابن الصائم التلمساني، الذي كان مُختلطًا بالعلماء وأولياء عصره في تلمسان، ومُتألمًا لحال مَوتهم، خاصة منهم من ماتوا أثناء الوباء خلال السنة المذكورة، وهو يقول فيهم:

ذهب الخيار وغاب عني خيارهم
وبقيت في خلف آثراهم يخلف
فق الوباء عصابة فتفارقوا
وتلاحقوا وتحققوا ما أسلفوا
شهدت عليهم شهادة بشهادة
ومفازة ورزانة ما طففوا[٢٩].

ويذكر أيضًا أبو عبد الله مسلم بن عبد القادر الوهراني الحميدي الزايري (ت ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)، في "أنيس الغريب"، أنّه لم تكن وحدها معاملة حكام تلمسان السبب الرئيسي على ما يبدو في الحالة المزرية الّتي عرفتها المدينة بما فيها الأوضاع الصحية في هذه الفترة، إذ تُؤرخ مصادر محليّة لأسباب أخرى طبيعية أكثر تأثير على غرار القحط والمجاعة التي أتت على الأخضر واليابس، حتَّى أكل أهل تلمسان لحم الميتة والدم، كما حدث ذلك في أيام حكم محمد بن عثمان، الباي المشهور بحبه للعلم والعلماء وتقريبهم إليه، في ظل ذلك الاهتمام الذي ولو ظرفيًا كان، بيد أنه لم يكن ليتجسد على أرض الواقع ويغرس مغرسًا دائمًا في ظل القحط والطاعون اللذان لم يحدث مثلهما قطّ أيام حكم هذا الباي[٣٠].

وتجدر الإشارة في هذا المقام، أن "يهود ليفورنة" كان لهم السبب المباشر كذلك في مجاعة مدمرة أثناء أحداث الثورة الدرقاوية بقيادة بن الشريف في غرب الإيالة عمومًا وتلمسان على وجه الخصوص. وهي المأساة التي عاشتها البلاد ما بين سنوات ١٧٩٨م و١٨٠٤م، بسبب الجوع والظلم والجراد والأوبئة[٣١].

خامسًا: المؤسسات الصحية الخاصة بأهل الذمة في تلمسان خلال العهد العثماني (النصارى واليهود)

١/٥-مستشفيات النصارى

لقد بنيت الكثير من الكنائس في تلمسان منذ عهد الزيانيين، وتواصل تشييدها حتى مع العثمانيين الذين قدموا ترخيصات لإقامة هذه المباني الدينية للتجار والأسرى الأوربيين، وفي هذا الصدد يذكر "الأب برجيس" أن الكثير من تجار مدينة فنيس الإيطالية "البندقية" تلقوا ضمانات تجارية ودينية لمزاولة أنشطتهم اليومية وخاصة الصحية منها في مدينة تلمسان، ومن مظاهر تلك الأنشطة الدينية بناءهم لكنيستين يعود تاريخ تأسيسها للقرن ١٠هـ/١٦م، وبالضبط سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م، اللتان بنيتا من قبل الأسير الأيرلندي "طوماس"[٣٢].

٢/٥-مستشفيات اليهود وأطبائهم

لعبت تلمسان كقطب ثقافي وديني عبري منذ ظهور المدارس الحاخامية بتلمسان في القرن ٤هـ/ ١٠م، ممَّا

دفع إليها بالكثير من العائلات اليهودية الأندلسية ــ يهود السافارديم ــخصوصًا منذ سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩١م، حيث أقبلت عليها شخصيات دينية وثقافية معروفة تركت بصمتها في تطور جاليتها اليهودية مثل العالم اليهودي الربي إفرايم النقاوة أو رب نقاوة (١٣٥٩م ــ ١٤٤٩م)، الذي كان من أبرز وأقدم هذه الشخصيات استقرارًا بتلمسان[٣٣].

وإن يبقى التساؤل مطروحًا فيما يتعلق بسيرته الذاتية، ومسيرته العلمية، كونه يترك وثائق مكتوبة أو مؤلفات تسمح بتقييم وزنه الديني والثقافي، فإن ضريحه وحده الموجود قرب **"ندرومة"** إلى اليوم، والذي مازال يحج إليه يهود الجزائر، وحتى بعض يهود فرنسا، وبقية أقطار شمال إفريقيا كل سنة، ليُعد دليلاً كافيًا عن مكانته في تلمسان. وحتى دوره الثقافي الديني آنذاك وسط جاليته إلى الحد الذي أعطاه كل هذه الكاريسماتية والقداسة التي لا تمنح إلا للشخصيات الاستثنائية[٣٤].

ومن ضمن الكتابات والتآليف اليهودية في مجال الطب بتلمسان خلال العهد العثماني، يمكن ذكر ما عثر عليه الرحالة الفرنسي "الأب برجيس" من مخطوطات عبرية تؤرخ للوضع العام الذي كان عليه اليهود العبريون في مدينة تلمسان، والحالة الصحية التي عاشتها هذه المدينة زمن العثمانيين. ورغم أن جهوده لم تكلل بالنجاح[٣٥]، فإنه وعلى الرغم من ذلك، قد أشار إلى مخطوط نفيس وجده في "مستشفى المشور" مرتب في خزانة الكتب الخاصة على ما يظهر بمركب المشور عامة، هذا المخطوط المنسوب للطبيب "أبراهام" إبن الحاخام "يعقوب قابيسون" الذي قدم من مدينة ليفورنة سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٨م، والذي كان يحتوي حسب كلام "الأب برجيس" أسماء الكثير من العلماء اليهود وأطبائهم. غير أنه أكد هذا الأخير أن الكلمات الواردة في هذا المخطوط لم تتح له الإطلاع على معلومات مفيدة تخص تاريخ اليهود العلمي في تلمسان على الأقل[٣٦].

سادسًا: إسهامات علماء تلمسان وأطبائها في التطبيب على عهد العثمانيين

بادئ دي بدء، فيما يخص ما دأب عليه علماء تلمسان في ميدان الطب والتطبيب على حد سواء، هو أن كلمة "حكيم" بدل "الطبيب" هي الشائعة عند الناس في ذلك الوقت، وكان الحكيم محل احترام وتبجيل عند العامة من الناس، وكان بعض هؤلاء العلماء وأشباههم يجتهدون اجتهادًا منقطع النظير في مجالات التطبيب، حيث كانوا يُرَكبُون الأدوية من النباتات المتوفرة في البلاد، ويصنعون المعاجين والأشربة، ويستعملون وسائل الكي والحجامة، ونحو ذلك[٣٧].

ومن ضمن هؤلاء الجهابذة العلماء، نذكر: ابن الصائم (كان حيا سَنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)، وابن عزوز (ت بعد ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٠م)، اللذان ألف كل واحد منهما تآليف متنوعة وكثيرة في التداوي بالأعشاب.

٦/١-علم الحكمة مظهر من مظاهر العلوم الطبية في الفترة الحديثة

لا جرم علينا القول، على أن علماء تلمسان قد اهتموا بعلوم الحكمة وعظموها تعظيمًا كبيرًا، حتى بلغ ببعضهم الأمر أن جعلوا لها تآليف مُتخَصِّصة، وأفردوا لها عناية فائقة، ومَدحُوها في مُقدمات تلك الكتب والمُؤلفات، وفي هذا الإطار قام العالم أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن عزوز، بالتأكيد على المقام العلمي والديني الكبير التي حظيت به علوم الحكمة، بقوله في مقدمة مخطوطته "أثمد البصائر": "(...) وبعد فإن أعظم العلوم مقاما (...) علم الحكمة (...)"[٣٨]. هذا، وقد نوه العالم المذكور في المخطوطة نفسها على تعريف العالم "الحكيم"، حيث قال: "(...) والحكيم هو الجامع لفنون الحكمة المطالع على أسرارها (...)"[٣٩].

ومن بين علماء تلمسان الذين مارسوا علم الحكمة في العهد العثماني، نذكر:

أبو العباس أحمد بن محمد المقري شهاب الدين التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣٣م):

كان "الشهاب المقري" عالما في الحديث بمثل ما كان عليه في العلوم العقلية مثل الحكمة التي ألف فيها منظومة "رفع الغلط عن المخمس الخالي الوسط"، إلى جانب مُؤلف

آخر في هذا العلم، موسوم بـ: "نيل المرام المغتبط لطالب المخمس الخالي الوسط"[٤٠]، وهو مخطوط بالرباط، مصنف تحت رقم: ٢٨٧٨.

أبو العباس الحاج أحمد الصغير بن الحسين الدرعي السنوسي التلمساني (كان حيا سنة ١٠٦٠هـ/١٦٥٢م):

واحد من علماء تلمسان وحكمائها الذين ارتحلوا إليها من ليبيا، والذين تم ذكرهم عند ابن الصائم، في مخطوطته "كعبة الطائفين"، بقوله: "(...) قدم من المشرق، وكان حكيما عارفا لبيبا (...)"[٤١].

أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري التلمساني ابن الصائم الجازولي (كان حيا سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م):

وهو أحد علماء بيت "ابن الصائم التلمساني" وصاحب مخطوطة "كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين"، التي ضمنها للعديد من العلوم النقلية والعقلية، وعرف فيها بعلم الحكمة والهدف من ممارستها، وعلاقاتها بالله عز وجل، بقوله: "(...) والحكمة هي إتمام الشيء وإنهاؤه إلى غايته التي أريدت منه، قال تعالى: الذاريات ٥٦، وهؤلاء السادة داعون على الله بأقوالهم وافعالهم وأحوالهم، ومحببون العباد في مولاهم، وحريصون على هداية الخلق إلى الحق(...)"[٤٢]. وأضاف يقول عن علم الحكمة: "والحكمة المصيبة عين الصواب (...)"[٤٣].

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز بن عزوز المراكشي التلمساني (ت بعد ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٠م):

الشيخ ابن عزوز، طبيب تلمساني المنشأ، مراكشي الدار، سوسي الأصل، عباسي النسب[٤٤]، متوفى بعد سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، ومعروف بـلقب: "سيدي بلة"[٤٥]، كان من الفقهاء الرحالة، والعلماء المتميزين في علم الأسماء، والحساب، والحروف، المجودين للقرآن، والحافظون للحديث والتاريخ، ومع ذلك نابغ في الطب، له كتب في علم المقادير والأعداد وعلم الحساب، وعلم الحكمة، منها: "باب الحكماء في علم الحروف والأسماء"، و"الأجوبة النورانية"[٤٦]، و"لب الحكمة في علم الحروف وعلم الأسماء الإلهية"، و "قهر العقول، وتغلبها إلى فهم الحقائق والأصول"[٤٧] توجد نسخة منه في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: ١١٥٦ ك.

وألف أيضًا في الحكمة "أثمد البصائر في معرفة الماهر"[٤٨]، الذي خَصَّصه للحديث عن أسرار العلوم والحكمة من تعلمها، وهو تأليف موجه لطالب الحكمة، إذ كثيرًا ما يبدأ صاحب المؤلف عبارات التفسير بـ: "واعلم يا طالب". وقد انتهى ابن عزوز من تأليف هذا الكتاب في ٢٣ شعبان من عام ١١٦٦هـ/١٧٦٧م.

ومن بين كتاباته في الطب والحكمة كذلك، مخطوط من ١١٨ صفحة، محفوظ مكتبة باريس، تحت رقم ٤٧٥٨، ونسخة أخرى بالمكتبة العامة بالرباط، مصنفة تحت رقم: ٨٢٤ــ ١١٣٦د، معنون بـ: "ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة"[٤٩]، فرغ من تأليفها في رمضان عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وقد قسم هذه المخطوطة في ٧٠ فصلاً، وفي كل فصل موضوع من مواضيع التطبيب في الطبيعة وحوادثها، العلم والحكمة، علم التوليد، وخَصَّ الفصل الأخير في استكشاف المعدة في أمراضها وسبل معالجتها، وأفرد فصل في ذكر كل مرض وسُبل معالجته.

وقد أورد "الأب برجيس" أنه حصل على نسخة من هذا المخطوط العربي النفيس من مدينة "مسرغين" من قبل الكولونيل "شارل مونطوبو" المحب للعلم والكتب، والذي حصل عليه هذا الأخير من طرف ولي وعالم صالح من المدينة المذكورة، وتم نقل هذا المخطوط إلى باريس[٥٠].

٢/٦-واقع الطب وإنتاجه العلمي في مدينة تلمسان في العهد العثماني

عرَّف أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٣م)، صنعة الطب في "المقدمة"، فقال: "وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين مرض كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراء التي تنشأ وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها على المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا في السجية والفضلات والنبض محاذين لذلك

قوة الطبيعة، فإنها المدبرة في حالتين؛ الصحة والمرض»[٥١].

ولما كان الشغل الشاغل لعلماء إيالة الجزائر بتدبير الدواء للأمراض وضرورة المحافظة على الصحة النفسية والجسدية، فقد كانت العناية بالعلوم الطبية في الإيالة عمومًا، أكبر من العناية بالعلوم العقلية الأخرى، (ماعدا علم الفلك) خلال العهد العثماني، ذلك أن الإنسان كان في حاجة إلى المعالجة، وبما أن المجتمع الجزائري آنذاك كان مجتمعًا إسلاميًا، فإن الإيمان بالقضاء والقدر في هذا الميدان كان المُسيطر على العقول بصفة عامة، ولكن بعض الناس كانوا يؤمنون بالعلاج والتداوي واتخاذ الوسائل والأسباب للمحافظة على الصحة، لذلك وجدنا عدد ليس بالقليل من التآليف، والرسائل، والأراجيز، في علم الطب وفروعه، ومع ذلك فإن الخرافة قد اختلطت بالطب في معظم الأحيان، فالعامة كانت تؤمن بالتداوي بالشرب من بئر معينة أو بتعليق تميمة، أو بزيارة ولي أو زاوية، كما كان يفعل بعض النسوة خصوصًا اللائي كن يؤمن ببعض الأسباب غير الطبية للبرء من العقم وغيرها...[٥٢]، على ما أورده النسابة سيدي الشيخ بلهاشمي الحسيني بن بكار، في كتابه "مجموع النسب والحسب والفضائل"، وهو يقول بالنص عن زاوية سيدي بن اعمر الواقعة في مدشر سيدي بن عمر في الجهة الشمالية الغربية من مدينة تلمسان: "زاوية سيدي محمد بن اعمر (...) وقصدت من الجهات الشاسعة (...) والتداوي والمعالجة والرقية في أمراض كادت أن تكون لها خصوصية فيها كمرض عرق النساء وداء الكلب وداء السم وقطع التابعة ورقية الولادة كل ذلك من سر الله في صدق ولي الله سيدي بن اعمر وشيخه القطب الكامل (...) مولاي الطيب رضي الله عنهم (...)»[٥٣].

وممَّا لاحظه "أبو القاسم سعد الله" في ميدان الطب وغرائبه في إيالة الجزائر على عهد العثمانيين، هو اعتقاد الجزائريين بما فيهم العلماء، بأن الطب مقصور على الأوربيين[٥٤]، حيث استند في ذلك لملاحظات "بانانتي الإيطالي" في أن (أهل الجزائر) يعتقدون أن كل أوربي طبيب، كما يعتقد الأوربيون أن كل إيطالي مُغن[٥٥].

والجدير بالذكر كما سبقت الإشارة إليه، هو أن الحكام العثمانيين من الباشوات والبايات وغيرهم، قد كانوا يجلبون لأنفسهم أطباء أوربيون ويؤمنون بالطب الأوربي، ومن جانب آخر لم يكونوا يهتمون بصحة السكان في العموم، تاركين العامة للطب التقليدي الذي انتشر بشكل كبير في الإيالة[٥٦].

وقد كانت مصادر الطب العربي التقليدي متوفرة في إيالة الجزائر و مكتباتها التي احتوت على كميات كبيرة من الكتب الطبية ولا سيما تآليف "ابن رشد" و"ابن سينا" و"ابن البيطار"[٥٧]، كما أن مدرسة مدينة تلمسان الطبية لم تندثر نهائيًا، ولا شك أن كتابات "إبراهيم بن أحمد التلمساني" و"محمد بن يوسف السنوسي" في الطب كانت معروفة ومتداولة خلال العهد المدروس[٥٨].

ومن جملة أطباء تلمسان الذين مارسوا الطب واختصوا فيه، نذكر:

أبو سليمان داود بن عبد الله البغدادي التلمساني (كان حيا سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م):

أورد ترجمته أبو القاسم محمد بن علي بن عسكر الحسني العلمي الشفشاوني (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، في "دوحة الناشر"، وقال إن كان طبيبًا ماهرًا، وكان ضريرًا أعمى. لقيته بمصر سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م، وكتب الطب تسرد عليه، ومعرفته في الطب عظيمة[٥٩].

أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري القرشي التلمساني (ت حوالي سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م):

على الرغم من أننا لم نقف على تآليف أبو عثمان سعيد المقري (ت حوالي سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م، في الطب، فإن تلامذته ومعاصريه من الطلبة والعلماء، يقولون عنه أنه كان يجمع بين العلوم العقلية والنقلية، خصوصًا علوم الطب والتشريح ...[٦٠].

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم المديوني التلمساني (كان حيا سنة ١٠٢٥هـ/١٦٢٥م):

له مخطوطات في الطب، منها: "فتح الجليل في أدوية العليل»[٦١]، لأبي زيد عبد الرحمن بن علي الرقعي السنوسي الفاسي (ت ٨٥٩هـ/١٤٥١م)[٦٢]، المعروف بالرّقعي. حيث عرفه ابن الصائم في "كعبة الطائفين" أنه "مؤلف الشيخ الرقعي" وقد اشتهر "ابن مريم" بهذا المؤلف أكثر من اشتهاره بـ: "البستان" في ذلك الوقت، غير أنه كما ذكر "أبو القاسم سعد الله" أن المُؤلف المقصود به

"فتح الجليل في أدوية العليل" هو تأليف في العقائد والتصوف[٦٣]. وهو ما يجعلنا نتحفظ من هذا المؤلف الذي نسب لابن مريم.

وقد ذكر العالم المرغيتي في "فهرسته المسماة: العوائد المزرية بالموائد"، لإشارات عديدة ومتعددة وهو يشرح بعض ما جاء في "فتح الجليل" لابن مريم، حيث كثيرًا ما وثق لابن مريم في مواضيع فهرسته، فيقول عن المديوني وهو يقصد "ابن مريم": "(...) المديوني على ابن رشد (...)"[٦٤]. ويضيف قائلاً: "(...) فائدة المديوني على ابن رشد (...)"[٦٥]. وهذا ما لا يدعو مجالاً للشك في أن ابن مريم له تأليف معنون بهذا الإسم، لكن على ما يظهر أنه ليس المخطوط المحفوظ في المكتبة الوطنية بباريس، أو بمكتبة هارفورد الأمريكية.

أبو عبد الله محمد أحمد الشريف الحسني التلمساني (ت١١٤٩هـ/١٧٤٩م):

لم يصلنا شيء حول حياة هذا العالم الطبيب، إلاَّ أنه ترك مخطوط في "الطب" من ثلاثة عشر صفحة، ووفاته التي كانت في سنة ١١٤٩هـ/١٧٤٩م[٦٦].

أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري التلمساني ابن الصائم الجازولي (كان حيا سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م):

وإذا عد العالم ابن الصائم (كان حيا سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)، من العلماء الأطباء، لتآليفه العديدة، بالضافة لتآليفه الخاص في الطب الشرعي التقليدي، إلا أنه لم يخرج في تناوله الطب عن اختصاصه في التصوف وعلم التوحيد، عندما ربط بين الطب والدين على عادة علماء إيالة الجزائر وقتذاك[٦٧] حيث ترك كتاب في "قوانين الطب الشرعي"[٦٨].

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز بن عزوز المراكشي التلمساني (ت بعد ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٠م):

وكان الشيخ ابن عزوز، ـــ كما سبقت الإشارة إليه ـــ، طبيب، نُعت بـلقب: "سيدي بلة". وكان ابن عزوز إلى جانب ذلك من الفقهاء الرَّحالة، والعلماء المتميزين في علم الطب، ولدرجة نبوغه تلك، أن ارتحل إليه من تلمسان لمراكش أحد علمائها البارزين أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (ت ١٢٢٦هـ/ ١٨١٨م)، هذا الأخير الذي لقيه بمراكش وأخذ عنه بعض العقاقير الطبية، وفي ذلك يقول الزجاي الحفيد (كان حيا سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)، في "إتمام الوطر": "(...) ثم ذهب لمراكش ولقي ابن عزوز (...)، الذي ناوله العقاقير (...)، التي أذهبت فيه كل علة (...)"[٦٩].

كان ابن عزوز طبيبًا مشهورًا في المغرب العربي ككل، وكان معروفًا أيضًا بامتلاكه العقاقير الطبية، والتي أشار لها تقريبًا في كل مؤلفاته في العلوم العقلية والصوفية، ومنها ما أورده في مخطوطته المتخصصة في أسرار علم الأسماء والتصوف "رسالة الصوفي للصوفي"، حيث يشبه كل تفسير روحاني إلى العقاقير، بقوله: "(...) كالعقاقير يدفع بعضها (...) وله من العقاقير لسان العصفور (...)"[٧٠]. ومن كتاباته في الطب والحكمة مخطوط من ١١٨ صفحة محفوظ بمكتبة باريس، تحت رقم: ٤٧٥٨، ونسخة أخرى بالمكتبة العامة بالرباط، تحت رقم: ٨٢٤ـــ ١١٣٦د، معنونة بـ: "ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة"[٧١]، فرغ من تأليفها في رمضان عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وقد قسم هذه المخطوطة في ٧٠ فصلاً، وفي كل فصل موضوع من مواضيع التطبيب في الطبيعة وحوادثها، العلم والحكمة، علم التوليد، وخص الفصل الأخير في استكشاف المعدة في أمراضها وسبل معالجتها، وخص فصل في ذكر كل مرض وسبل معالجته.

وقد أشار "أبو القاسم سعد الله" على أن هذا الكتاب قد اختص في الطبيعة وعناصرها، وفي العلم والحكمة، وفي علم التوليد، وفي حديثه عن الطب فصل في ذكر العلاج لكل مرض، وكان آخر باب في الكتاب في صفة المعدة وأمراضها وعلاجاتها. أما بدايته فهي: "الحمد لله الذي أفاض على قلوب عباده المحبوبين فنون العلوم والمعاني الكثيفة واللطيفة، وأطلعهم على الحكم والمعاني، وأدخلهم حضرتهم القدسية"[٧٢]. ولعل هذه العبارات ونحوها قد جعلت من هذا التأليف يصنف أيضًا في علم التصوف. ومؤلف آخر لهذا الطبيب معنون بـ: "جراب المجربات في الأدوية والأعشاب"[٧٣] من ٢٣٨ صفحة، موجود بالمكتبة القاسمية ببوسعادة، قسمه إلى ٢٧ بابا. كما نسب له المؤلف المغربي "محمد الأخضر" مؤلف في علم النباتات، معنون بـ: "كشف الرموز"[٧٤].

خَاتمَةٌ

وزيادَة القول، من كل ما قدمناه في هذا العرض التاريخي الموثق، والموسوم بـ: "التفاعل الاجتماعي لأطباء مدينة تلمسان في الحياة الصحية بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني". والقراءة الاستنتاجية المتأنية لما خلفه علماء تلمسان وغيرهم على عهد العثمانيين من مؤلفات احتوت على مادة مصدرية مهمة تؤرخ من جهة للأوضاع العلمية والصحية وتعتبر من ناحية أخرى مساهمة في مجال الطب والتطبيب؛ تمكنا من الوقوف على مجموعة من النتائج. حصرناها في النقاط التالية:

- كشفت لنا النصوص التاريخية أن إيالة الجزائر قد شهدت العديد من الجوائح والأوبئة والأمراض، التي كانت تضرب مختلف القطاعات على عهد العثمانيين، والتي كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقال فيما يتعلق بتردي الأوضاع الاجتماعية والسياسية وحتى الثقافية والعلمية.
- أبانت سطور هذه الورقة البحثية عن ذلك التراجع الرهيب في ميدان العلوم العقلية زمن العثمانيين، مع احتفاظ مدينة تلمسان ومدارسها بشكل نسبي على الإشعاع العلمي في هذا المجال، والذي أُسِّسَ على أنقاد المدرسة الزيانية سابقًا.
- لم تسلم مدينة تلمسان هي الأخرى من موجات الأوبئة، كالطاعون وغيره طيلة العهد العثماني، ما انجر عنه هلاك عدد كبير من السكان بما فيهم نخبة المدينة من العلماء على ما أدلى به علمائها من شهادات تاريخية في نصوص مُؤلفاتهم.
- شهدت مدينة تلمسان والإيالة عمومًا، تنظيمًا مُحكمًا فيما يخص المؤسسات الاستشفائية الخاصة بأهل الذمة ــ اليهود والنصارى ــ، والتي كانت تلمسان احدى المدن التي شُيِّدَت فيها تلك المنشآت المعمارية، خاصة منها التي تعود لليهود الذين كانوا يشكلون نسمة كبيرة بالمدينة المذكورة حتى لمع منهم الكثير من الأطباء خلال العهد العثماني على ما أكده الباحث الرحالة الفرنسي "الأب برجيس".
- أنجبت مدينة تلمسان خلال العهد العثماني الكثير من العلماء الذين امتهنوا الطب الشرعي ــ العربي التقليدي ــ وأنتجوا فيه إنتاجًا علميًا محترمًا في زمن تراجعت فيه الحركة العقلية بشكل عام.
- استطاع أطباء تلمسان على ما يبدو مواجهة بعض الأمراض، وإيجاد العلاج لها من خلال ما ألفوه من كتب طبية شاملة لمختلف الأمراض، لكن مساهماتهم تلك لم تخرج عن التقليد والطب العربي الشرعي.
- أظهرت المصادر التاريخية التي دونها أصحابها العلماء من أبناء مدينة تلمسان على حركية علمية راقية، مست الجانب الطبي ومهنة التطبيب عبر الكثير من المؤلفات العقلية التي كان من روادها العالم أبو عبد الله محمد بن سليمان ابن الصائم التلمساني، والعالم أبو محمد عبد الله ابن عزوز ...
- تنوعت تآليف العالم أبو محمد عبد الله ابن عزوز، بين مُؤلفات في الطب الشرعي، وبين مُؤلفات جمعت بين علمي الحكمة والطب، وعلم المحسوسات التجريبية، ما يجعل هذا العالم الطبيب واسع الدراية بمختلف الأمراض والأوبئة آنذاك.

الملاحق:

الملحق رقم ٠١: الورقتان الأولى والأخيرة من مخطوطة: **"فتح الجليل في أدوية العليل"**، للعالم أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد بن مريم المديوني التلمساني **(كان حيا سنة ١٠٢٥هـ/١٦٢٥م)**.

الورقة الأولى/أ

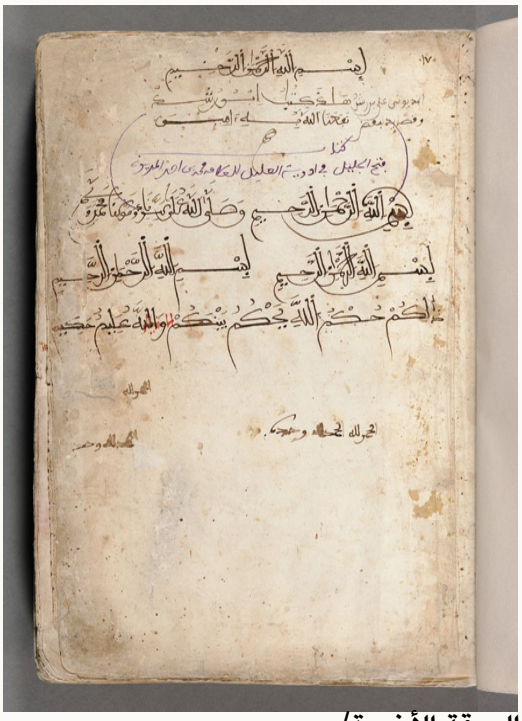

الورقة الأخيرة/ب

المصدر: مكتبة هارفرد الأمريكية، يحمل رقم: ٩٩٠٠٧٣٨٤٤١١٠٢٠٣٩٤١، عدد الأوراق: ٤٠٠.

الملحق رقم ٠٢: الورقة الأولى والأخيرة من مخطوطة: **"ذهاب الكسوف ونفي الظلمة عن علم الطب والطبائع والحكمة"**، للعالم أبي محمد عبد الله ابن أحمد ابن عبد العزيز ابن عزوز العباسي المراكشي التلمساني **(ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)**.

الورقة الأولى أ/ب

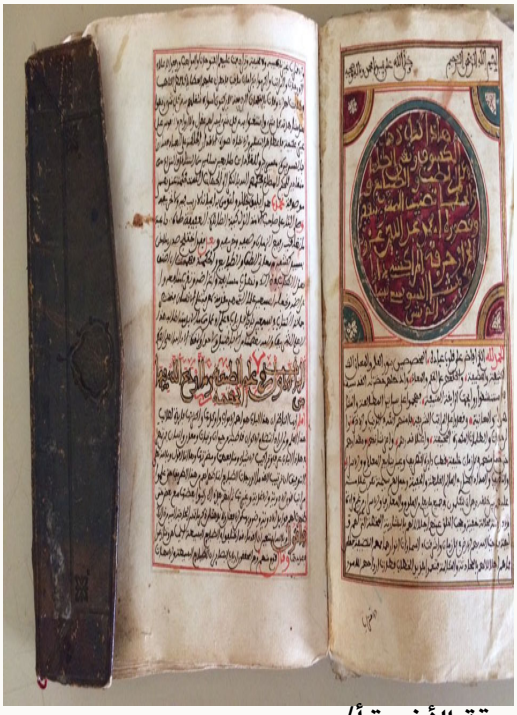

الورقة الأخيرة أ/ب

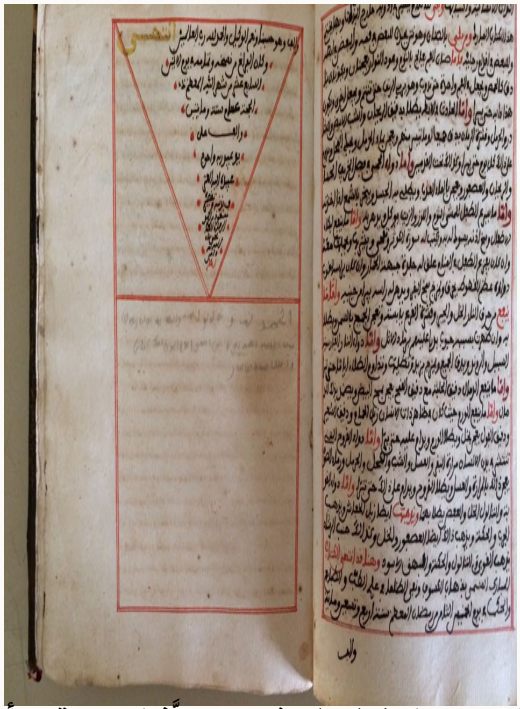

المصدر: (مخطوط غير مصنّف)، موقع أبو مريم، عدد الأوراق: ٨١.

الاحالات المرجعية:

(١) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٣م)، **المقدمة**، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٧، ص: ٤٠٣

(٢) **العدوة**: مصطلح يقصد به في اللغة المكان المتباعد، والمكان المرتفع، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، بعد بسم الله الرحمن الرحيم: «... إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ» **[الأنفال ٤٢]**، بمعنى ما يلي المدينة وما يلي مكة، ولقد انتقل هذا المصطلح إلى بلاد المغارب عبر الكُتاب المشارقة على الأرجح، فأطلق على ضَفَّتي كل مجال يفصله مجرى مائي، فوجدت العُدوة المغربيّة التي يقصد بها تونس والمغرب والجزائر، والعدوة الأندلسيّة، لما يفصل بينهما من ماء البحر الأبيض المتوسط. يُنظر حول الموضوع: المعلمة، (١٩٨٩م)، **قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى**، (ج١٨)، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ص ٦٠٠٦.

(٣) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، (ج٣)، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ١٩٨٠، ص: ٢٦.

(٤) أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم الجازولي التلمساني (كان حيا سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)، **مخطوط: كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين**، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: **٤٦٠١**، ص: ٣٨٩.

(٥) نفسه، ص: ٤٠١.

(٦) سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي ١٥٠٠ ـ ١٨٣٠**، (ج١)، دار البصائر، الجزائر، ٢٠٠٩، ص: ١١١.

(٧) نفسه، (ج١)، ص: ١١١.

(٨) فوزية لزغم، **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية ١٥٢٠م ـ ١٨٣٠م**، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، وهران، (دت)، ص: ٧٢.

(9) Thomas (Shaw), **voyage Dans La Régence d'Alger**, Chez Marlin éditeur, Paris, 1830, P: 48.

(10) IBID, P: 48.

(١١) أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن عبد العزيز بن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: رسالة الصوفي للصوفي في التعريف بالاسم الأعظم المفرد الجامع الكافي وفي التعريف بشرابه الصافي وميزانه الوافي وسره الخافي**، (غير مصنَّف)، الورقة: ٢٤٧/أ.

(١٢) نقلاً عن: سعد الله (أبو القاسم)، **مرجع سابق**، (ج١)، ص: ١٩٣.

(١٣) نفسه، (ج١)، ص: ١٩٣.

(١٤) نفسه، (ج١)، ص: ١٩٤.

(١٥) نفسه، (ج١)، ص: ١٩٤.

(١٦) نفسه، (ج١)، ص: ١٩٤.

(١٧) مصطفى خياطي، **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشورات ANEP، الجزائر، (د.ت)، ص: ٤٨.

(١٨) فوزية لزغم، **مرجع سابق**، ص: ٧٢.

(١٩) أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن عبد العزيز ابن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: رسالة الصوفي للصوفي في التعريف بالاسم الأعظم المفرد الجامع الكافي وفي التعريف بشرابه الصافي وميزانه الوافي وسره الخافي**، (غير مصنَّف)، الورقة: ٢٠٣/ب.

(٢٠) فوزية لزغم، **مرجع سابق**، ص: ٧٣.

(٢١) أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن عبد العزيز بن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: الأمر الوافي والترتيب الكافي للسر الخافي**، (غير مصنَّف)، الورقة: ٤/ب.

(٢٢) **صالح ريس (ت ٩٦٣هـ/١٥٥٦م)**: الملقب بأمير البحر، وباي لارباي أيالة الجزائر، أجمع المؤرخون على أن أصل صالح ريس هو عربي من الإسكندرية، تعرف إلى الأتراك حين قدومهم إلى مصر، ورافق البحار عروج و خير الدين بربروسا في رحلاتهم، تعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة، من أهم أعماله مساهمته في انقاذ بقايا المسلمين في الأندلس، فمنح لقب بكلربك أو باي لارباي أي أمير الأمراء، وهو لقب يخول لصاحبه أن يُصدر الأوامر إلى باشا تونس وطرابلس والجزائر، لتولى منصب حاكم الجزائر في عام ١٥٥٢م، فأتم فتح بجاية عام ١٥٥٥م، من الإسبان، وقضى على التمردات في المغرب الأقصى، ودخل فاس في عام ١٥٥٤م، توفي صالح رايس مصاباً بالطاعون وقد ناهز السبعين عاما في سنة (٩٦٣هـ/ ١٥٥٦). يُنظر: مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (ج٣)، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص ص: ٧٣ ـ ٨٩.

(٢٣) أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني ٩٢٦ ـ ١٢٤٦ هـ / ١٥١٩ ـ ١٨٣٠م**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩، ص: ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٢٤) سعد الله أبو القاسم، **مرجع سابق**، (ج١)، ص: ١٦٧.

(٢٥) أرزقي شويتام، **مرجع سابق**، ص: ٤٠٦.

(٢٦) نفسه، ص: ٤٠٦.

(٢٧) سعد الله أبو القاسم، **مرجع سابق**، (ج١)، ص: ١٦٨.

(٢٨) أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ابن مريم المديوني التلمساني (كان حيا سنة ١٠٢٥هـ/١٦٢٥م)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤، ص: ٢٦٤، ٢٨١، ٢٨٦.

(٢٩) أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم الجازولي

التلمساني (كان حيا سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)، **مصدر سابق**، ص: ٣٨٩.

(٣٠) لتفاصل أكثر يُنظر: أبو عبد الله مسلم بن عبد القادر الوهراني الحميدي الزايري (ت ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)، **أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر أو تاريخ بايات وهران المتأخر**، تحقيق: بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤، ص ص: ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٣١) سعد الله فوزي، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤م، ص: ٢٣.

(32) Barges (Labbe), **Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom, Souvenir Dun Voyage**, Challamel Aine Libaire, Paris, 1859, P: 128.

(33) IBID, P: 128.

(٣٤) سعد الله فوزي، **مرجع سابق**، ص: ٩٩.

(35) Barges (Labbe), **op, cit**, P. 92.

(36) IBID, P. 92.

(٣٧) سعد الله أبو القاسم، **مرجع سابق**، (ج٢)، ص: ٤١٧.

(٣٨) أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن عبد العزيز بن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: أثمد البصائر في معرفة الماهر**، (غير مصنَّف)، الورقة: ٢.

(٣٩) نفسه، الورقة: ٢.

(٤٠) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقَّري التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، **مخطوط: نيل المرام المغتبط لطالب المخمس الخالي الوسط**، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، يحمل رقم **٢٨٧٨**، عدد الأوراق: ٣٨.

(٤١) أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري التلمساني ابن الصائم الجازولي التلمساني (كان حيا سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)، **مصدر سابق**، ص: ١٦٢.

(٤٢) نفسه، ص: ٢٨٤.

(٤٣) نفسه، ص: ٢٨٦.

(44) Barges (Labbe), **op, cit**, P: ٤٤٤.

(٤٥) نعم الله هيكل، مليحة إلياس، **موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص: ٥٢.

(٤٦) أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن عبد العزيز ابن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: الأجوبة النورانية**، المكتبة الوطنية الجزائرية، يحمل رقم: **٩٢٧**، عدد الأوراق: ٥٦.

(٤٧) أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن عبد العزيز ابن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: قهر العقول، وتغلبها إلى فهم الحقائق والأصول**، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، يحمل رقم: **١١٥٦ ك**، عدد الأوراق: ١٨٤.

(٤٨) أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن عبد العزيز بن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، مخطوط: **أثمد البصائر في معرفة الماهر، مصدر سابق**، عدد الأوراق: ٦٦.

(٤٩) أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن عبد العزيز ابن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: ذهاب الكسوف ونفي الظلمة عن علم الطب والطبائع والحكمة**، (غير مصنَّف)، موقع أبو مريم، عدد الأوراق: ٨١ ورقة.

(50) Barges (Labbe), **op, cit**, P: ٤٤٤.

(٥١) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٣م)، **مصدر سابق**، ص: ٤١٦.

(٥٢) سعد الله أبو القاسم، **مرجع سابق**، (ج٢)، ص: ٤١٧.

(٥٣) سيدي الشيخ بلهاشمي الحسيني بن بكار، **كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب**، مطبعة ابن خلدون، تلمسان – الجزائر، ١٩٦١، ص: ١٦٥.

(٥٤) سعد الله أبو القاسم، **مرجع سابق**، (ج٢)، ص: ٤١٧.

(٥٥) نفسه، (ج٢)، ص: ٤١٧.

(٥٦) **نفسه**، (ج٢)، ص: ٤١٩.

(٥٧) نفسه، (ج٢)، ص: ٤٢٠.

(٥٨) نفسه، (ج٢)، ص: ٤٢٠.

(٥٩) أبو القاسم محمد بن علي بن عسكر الحسني العلمي الشفشاوني (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، **دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٧م، ص: ١٠٢.

(٦٠) سعد الله أبو القاسم، **مرجع سابق**، (ج٢)، ص: ٤٢٠.

(٦١) أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد بن مريم المديوني التلمساني (كان حيًا سنة ١٠٢٥هـ/١٦٢٥م)، **مخطوط: فتح الجليل في أدوية العليل**، مكتبة هارفرد، و ـ م ـ أ، يحمل رقم: **٩٩٠٠٧٣٨٤٤١١٠٢٠٣٩٤١**، عدد الأوراق: ٤٠٠.

(٦٢) **أبو زيد عبد الرحمن بن علي الرقعي السنوسي الفاسي (ت ٨٥٩هـ/١٤٥١م):** ولد أبو زيد بـ: **«رُقْعة»**، قرية وبلدة من بلاد لمطة التابعة لمدينة فاس، وقد نزل بها سلفه، لم تورد المصادر المتوفرة عنه شيئا، خاصة ما له علاقة بتكوينه العلمي في الصغر، ولا على من تلقى من أهل بلده الذين عاشوا في وقت بلوغه سن الأخذ والتلقي، كما لم تورد من أخبار رحلته في طلب العلم شيئا، وهذا القصور في ترجمته ظهر واضحا على الذين ترجموه، حيث لم نقف في كتب التراجم، إلا على شيخين اثنين ممن تلقى عنهم المترجم، هما العالم الشيخ الفقيه: أبو عبد الله سيدي محمد بن عمر العكرمي القرشي **(ت ٨٤٢هـ/١٤٣٤م)**، وأبو مهدي سيدي عيسى بن علال الكتامي المصمودي **(ت ٨٢٣هـ/١٤١٥م)**. أما تلاميذه فلم نظفر منهم بأحد، وأبو زيد هذا هو صاحب النظم المشهور، المعروف بـ: «**نظم مقدمة ابن رشد**»، الذي فرغ من نظمها سنة **٨٥٣هـ/١٤٤٥م**، وقد وصفه صاحب **الاستقصا** بقوله: «**صاحب الرجز المشهور**». وقد نقل

التنبكتي عن بعض شراح نظمه هذا في الثناء على الرجل قوله: **«قال بعض شراح نظمه: كان عالما، صالحا، عارفا بالفقه، حسن الخلق»**. كما لم يصل إلى يدي شيء عن تدريسه العلم، أو التأليف فيه غير النظم الذي تقدم، مع ما تقدم من وصفه بمعرفة الفقه، والعلم والصلاح والورع. وقد توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء سادس عشر رجب من سنة **٨٥٩هـ/١٤٥١م**. يُنظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسي الحضيكي (ت. ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م)، **طبقات الحضيكي**، تقديم وتحقيق: بومزكو أحمد، (ج١)، مطبعة النجاح الجددة، الدار البيضاء، ٢٠٠٦، ص: ٥٣٤.

(٦٣) سعد الله أبو القاسم، **مرجع سابق**، (ج٢)، ص: ٤٢٠.

(٦٤) أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيتي (ت. ١٠٨٩هـ/١٦٨١م)، **فهرسة أبي عبد الله محمد بن سعيد المرغيتي المسماة: العوائد المزرية بالموائد**، تقديم وتحقيق: اشريفي محمد العربي، (ج١)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠٠٧، ص: ٢١٠.

(٦٥) نفسه، (ج١)، ص: ٢١١.

(٦٦) (فهرسة)، **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، تصنيف: الجزائري الشيخ البشير ضيف، منشورات ثالة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص: ٢٣٩.

(٦٧) سعد الله أبو القاسم، **مرجع سابق**، (ج١)، ص: ١١٣.

(68) Mostefa (K), **La Médecine en Algerie Au Cours De La Période Ottomane (Xvie _ XIXe Siècle)**, Houma éditions, Alger, 2013, P:

(٦٩) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي الحفيد التلمساني (كان حيا سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)، **مخطوط: إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر**، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D٩٣٠٧.، الورقة ١٧/أ

(٧٠) أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن عبد العزيز ابن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: رسالة الصوفي للصوفي ...، مصدر سابق**، الورقة: ٢٩٠/ب.

(٧١) أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن عبد العزيز ابن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: ذهاب الكسوف ونفي الظلمة عن علم الطب والطبائع والحكمة**، (غير مصنَّف)، موقع أبو مريم، عدد الأوراق: ٨١ ورقة.

(٧٢) سعد الله (أبو القاسم)، **مرجع سابق**، (ج٢)، ص: ٤١١ ـ ٤١٢.

(٧٣) أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن عبد العزيز ابن عزوز العباسي المراكشي التلمساني (ت بعد ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م)، **مخطوط: جراب المجربات في التداوي بالأدوية والأعشاب**، المكتبة القاسمية ببوسعادة، عدد الأوراق: ٢٣٨.

(٧٤) سعد الله (أبو القاسم)، **مرجع سابق**، (ج٢)، ص: ٤١٢.